الشعر العراقي

وحرب طرابلس

ابراهيم الوائلي

المدرس في قسم اللغة العربية

تأريخ وسياسة :

في سنة ٢٢هـ ٦٤٣م فتح المسلمون برقة وطرابلس ثم تتابعت فتوحاتهم في افريقيا ، وفي أواسط القرن الخامس الهجري (الحادي عشر للميلاد) اصطبغت ليبيا بالصبغة العربية بعد أن نزح بنو سليم من مصر واستقروا في برقة ونزح مثلهم بنو هلال واستقروا في طرابلس وتونس ، وفي أواسط القرن السادس عشر للميلاد خضعت برقة وطرابلس للدولة العثمانية وصارتا ايالة واحدة قاعدتها طرابلس ثم استولت اسرة (القرمنلي) الانكشارية على الأيالة في أوائل القرن الثامن عشر وأقرتها الدولة العثمانية على ذلك ، ولكن ليبيا كلها أعيدت الى الادارة العثمانية في سنة ١٨٣٥م[١] ، وفي هذه الفترة كانت الدولة العثمانية تحاول اجتياز مرحلة خطيرة من مراحلها السياسية فهي في حروب مستمرة مع اوروبا من جانب وفي البلاد العربية من جانب آخر ، وكانت اليقظة الاسلامية قد أخذت تزحف في صفوف المسلمين أمام الخطر الاوروبي وتنذر الدولة نفسها بسوء العاقبة ان لم تبادر الى الاصلاح ولكن هذه اليقظة ليست على مستوى شامل ينتظم كل رجال الدين في الدولة العثمانية وانما كان يرتفع الى حد كبير في بعض البلاد العربية كنجد والحجاز وليبيا ومصر في حين تجذبه الرجعية الى الوراء في بلاد الترك نفسها وفي بعض البلدان الاخرى • وحين ازداد خطر اوروبا على البلاد العثمانية في عصر السلطان عبدالحميد الثاني كان الاتجاه قد قوى لدعم الجامعة الاسلامية وقد

(١) برقة ـ للدكتور نقولا زيادة ص ٤٤ ـ ٥٣ ـ دار االعلم للملايين ـ بيروت •

عمل السلطان نفسه باهتمام كبير لتقوية هذه الجامعة[٢] على الرغم من حكمه الفردي المستبد ، وكانت هذه الجامعة تعتمد ــ فيما تعتمد عليه ــ على الطرق الدينية حديثة العهد وعلى رجال الفكر والاصلاح[٣] ، وكانت الطريقة السنوسية[٤] في برقة من أهم هذه الطرق التي عززت مركز الجامعة الاسلامية في ليبيا وغيرها • وفي أيام السيد المهدي كانت هذه الطريقة قد وصلت الى ذروة انتشارها وقوتها حتى أن السلطان عبدالحميد طلب العون من السنوسي في حربه مع روسيا سنة **١٨٧٦ ــ ١٨٧٨م**[٥] على الرغم من تردي العلاقات بين الطرفين فقد كان السيد السنوسي يرى أن تحرير المسلمين من الاجانب لا يكون الا بالدعوة الخلقية وتحسين حالة المعيشة والزراعة والتجارة[٦] في حين كان السلطان يتخذ من الجامعة الاسلامية سندا له من غير اصلاح في جهاز الحكم وفي الاحوال العامة في البلاد العثمانية وبعد وفاة السيد المهدي سنة **١٩٠٢م** كان خلفه السيد أحمد الشريف المتوفى سنة **١٩٣٣م** في خصام مستمر مع الفرنسيين الذين أغاروا على أواسط افريقيا وانشؤا السودان الفرنسي وكانت أعماله الدفاعية ضد الايطاليين من عام **١٩١٢** حتى عام **١٩١٨م** من الاعمال المشهورة ولم تكن برقة في عهد زعامته قد تأثرت بالثورة التركية وخلع السلطان عبدالحميد سنة **١٩٠٩م** فقد وقفت السنوسية في وجه الاتحاديين الذين لم يلقوا تأييدا في بني غازي وغيرها بسبب اتجاههم الى تتريك العرب •

---

(٢) عبدالحميد ظل الله على الارض • ص ١٧٢ ــ ١٧٥ ــ للدكتورة آلماوتنن ، ترجمة : راسم رشدي ، القاهرة •

(٣) حاضر العالم الاسلامي • ص ٢٩٤ ج ١ ط ٢ تأليف : لوثروب ستودارد • ترجمة عجاج نويهض ، القاهرة •

(٤) مؤسس هذه الطريقة السيد محمد بن علي السنوسي المتوفى سنة ١٢٧٦هـ ١٨٥٩م وكان قد أنشأ (الزاوية البيضاء) في الجبل الاخضر عام ١٨٤٣م ثم نقل مركزه الى (الجغبوب) عام ١٨٥٦م وأنشأ مدرسة ومكتبة كبيرة ، وبعد وفاته خلفه ابنه السيد المهدي الذي نقل مركزه الى (الكفره) سنة ١٨٩٥م وتوفى سنة ١٩٠٢م فخلفه ابن أخيه السيد أحمد الشريف •

(٥) برقة ص ٦٢ •

(٦) حاضر العالم الاسلامي ١ : ٢٩٥ •

بوادر الاحتلال الايطالي :

كان التنافس قد اشتد بين فرنسا وانكلترا على التوسع الاستعماري في البلاد الشرقية منذ أن احتلت فرنسا الجزائر سنة **١٨٣٠م** وكانت ايطاليا تريد أن تشارك هاتين الدولتين في التوسع غير أنها لم تجد القدرة الكافية على استعمار البلاد البعيدة عن شواطيء البحر الابيض المتوسط بسبب استيلاء الانكليز على مصر والهند وقوة اسطولهم الذي يقف حاجزا دون أية دولة أخرى ، وكان استيلاء فرنسا على الجزائر ومطامعها في تونس ونفوذها في مراكش مانعا آخر يحول بين ايطاليا وبين استعمارها هذه الاقطار أو بعضها فلم يبق لها الا ليبيا وقد ازدادت رغبتها في ذلك حين احتلت فرنسا تونس سنة **١٨٨١م** فخشيت أن تمتد يدها الى ليبيا وتحرمها منها[٧] وصارت ايطاليا تعد ليبيا ملكا لها ولو أن الدولة العثمانية كانت لا تزال صاحبة الحق هناك .

وفي سنة **١٩٠٠م** اتفقت فرنسا وايطاليا على اطلاق يد الثانية في شؤون ليبيا مقابل اطلاق يد فرنسا في المغرب وحصل بينهما اتفاق آخر بهذا الشأن سنة **١٩٠٢م** وقد أقرت انكلترا والنمسا هذا الاتفاق[٨] ، وفي السنوات الاولى من القرن الحالي شرعت ايطاليا تحقق أهدافها ففتحت المدارس في طرابلس وبني غازي وارسلت الجماعات التبشيرية ثم فتحت فرعا لبنك (دي روما) في طرابلس سنة **١٩٠٥م** واكتتب البابا بالثلثين من مجموع رأس ماله[٩] وأخذ هذا المصرف يقرض الاهلين أموالا كثيرة بشروط تبدو سهلة في الظاهر ولكنها قد تؤدي في الغالب الى تسجيل الارض المرهونة ملكا للمصرف حين يعجز المدين عن الدفع ، وكانت القنصلية الايطالية في كل

---

(٧) جهاد الابطال ص ١ تأليف : الطاهر أحمد الزاوي الطبعة الاولى ١٩٥٠م عيسى البابي ، القاهرة .

(٨) المصدر السابق ص ٢ .

(٩) المصدر نفسه ص ٧ والقضية العربية ٢ : ٣٥ تأليف أحمد عزت الاعظمي ـ مطبعة الشعب بغداد ١٩٣١م .

من طرابلس وبني غازي مركزا للنشاط السياسي والدعاية لايطاليا والتجسس على السكان[١٠] .

وهكذا استطاعت ايطاليا أن تثبت أقدامها في ليبيا وتهيء الجو المناسب للاستيلاء السياسي والاداري على هذا القطر ، وفي أيلول من سنة **١٩١١م** استولت الجيوش الايطالية على طرابلس وأضيف هذا القطر الى تاج الملك عمانوئيل .

موقف الدولة العثمانية :

اذا كان من الاسباب التي أدت الى استيلاء ايطاليا على طرابلس ما هو جغرافي يعود الى قرب طرابلس من سواحل ايطاليا وما هو تأريخي قديم يعود الى كون طرابلس من توابع روما قبل الفتح الاسلامي[١١] وما هو سياسي معاصر كموافقة الدول الاوربية على هذا الاستيلاء فان من الاسباب ما يعود الى الدولة العثمانية نفسها فقد كان اهمال الدولة العثمانية شؤون هذا القطر وانحراف بعض سياسيها مع ايطاليا من أهم الاسباب التي أدت الى وقوع الكارثة هناك ، ذلك أن طرابلس كانت خالية من جميع أسباب القوة والعمران وليس فيها من طرق المواصلات ووسائل النقل الا ما كان مألوفا منذ مئات السنين ، أما التعليم الحديث فما كانت تعرف منه شيئا ، ولم تكن مواردها سوى القليل مما يزرع في مواسم الامطار وسوى أشجار النخيل والزيتون ، وكانت وسائل الدفاع فيها ضعيفة فليس فيها ما يكفي من الجند أو الاسلحة الحديثة ان لم نقل انها كانت مفقودة . وحين استولى الاتحاديون على الحكم سنة **١٩٠٨م** لم يعنوا بليبيا فقد استمر الاهمال في كل ناحية حتى اتجه الزراع الى (بنك دي روما) الذي فتح أبوابه للاقتراض واستولى على كثير من الاراضي بهذه الوسيلة ، وقد انشيء هذا (البنك) بدون استصدار

---

(١٠) برقة ص ٧٨ .

(١١) تدخلت روما في شؤون ليبيا قبل الميلاد فقد أيدت البطالسة في برقة وكان آخر ملك مستقل منهم في هذا القطر بطليموس أبيون الذي أوصى بالقطر لروما بعد وفاته (٩٦ق٠م) برقة ص ٣٧ .

مرسـوم من حكومة الاسـتانة أو موافقة الحكومة المحليـة وكان مديره (براشياني) من أشد الناس تعصبا لجنسيته فأخذ يستميل الضعاف ويبذل المال ويتصل ببعض الوجهاء ويقربهم منه • وكان (حقي) سفير الدولة العثمانية في روما آنذاك قد استماله الايطاليون الى جانبهم وطلبوا منه اقناع الدولة في عدم معارضة (البنك) فكتب هذا السفير الى دولته يقول :

« ان ايطاليا تبذل جهدا كبيرا لمساعدة الدولة العثمانية خصوصا بعد الدستور ومن الواجب على الباب العالي أن يتسامح مع بنك دي روما تثبيتا لاواصر المودة بين الدولتين[١٢] » •

في حين كان الوالي المشير رجب باشا في طرابلس من أشد المعارضين لسياسة ايطاليا وأعمال (بنك دي روما) وكان يوعز الى المحاكم في طرابلس أن ترفض قضايا (البنك) لعدم توفر الشروط القانونية فيه ولـكن الدولة العثمانية كانت تقف الى جانب (البنك) ولم تكتف بذلك بل أذنت لايطاليا بانشاء مكتب للبريد وكان هذا المكتب منتدى يجمع سماسرة (البنك) لتدبير الحيل والتعجيل باحتلال طرابلس[١٣] • وعزل رجب باشا[١٤] بسبب مضايقته أعمال الايطاليين وجاء بعده ولاة لم يكونوا سوى دمى بيد السياسة الايطالية • ولم تنجح مسـاعي الوالي ابراهيم باشـا (**١٩٠٩**) الذي وقف بحزم ضد سياسة الطليان فقد كانت حكومة الاستانة تطلب منه ألا يغضب الايطاليين ولـكن الحاح هؤلاء في عزله قد وجد سبيله الى رئيس الوزراء حقي باشا الذي كان سفيرا للدولة في روما فعزله في أيلول سنة **١٩١١**م وكان هذا الوالي قد أرسل تقريرا قبل عزله بسبعة أشهر ينذر فيه بخطر استيلاء الطليان على طرابلس فلم تلتفت الدولة الى تقريره[١٥] • ولم يكتف حقي باشا بعزل الوالي ابراهيم استجابة لرغبة قنصل ايطاليا في طرابلس بل أمر

(١٢) جهاد الابطال ص ٧ والقضية العربية ٢ : ٣٥ •
(١٣) جهاد الابطال ص ٨ •
(١٤) كان رجب باشا مشيرا للفيلق السادس في بغداد سنة ١٨٩١م ١٣٠٨هـ وقد عين واليا على طرابلس سنة ١٩٠٤م •
(١٥) جهاد الابطال ص ٢٠ •

بنقل السلاح الموجود فيها بحجة اصلاح بعضه وابدال ما لا يصلح منه بسلاح جديد كما أمر بسحب الجنود بحجة الحاجة اليهم في حرب اليمن . وهكذا مهد حقي باشا لايطاليا في احتلال طرابلس استجابة لاصدقائه من الايطاليين الذين سعوا الى تعيينه صدرا أعظم سنة ١٩١١م[١٦] .

وفي يوم ٢٧ أيلول سنة ١٩١١م تسلم حقي باشا انذارا من ايطاليا باحتلال طرابلس محتجة بفساد النظام واهمال الحكومة مصالح ليبيا[١٧] وأجابت الدولة على هذا الانذار بكثير من التملق ووعدت ايطاليا بحماية مصالحها في طرابلس[١٨] ، وقد وقف نواب ليبيا موقفا حادا من سياسة حقي واتهموه بالخيانة وطالبوا بمحاكمته أمام الديوان العالي وانضم اليهم كثير من نواب العرب مشاركة في الشعور وقدم نائبا طرابلس[١٩] تقريرا الى البرلمان التركي أظهرا فيه أسباب الاهمال وسياسة حقي الممالئة لايطاليا[٢٠] ولكن حقي لم يمسسه شيء ولم يحاسب لان الاتحاديين كانوا يسندونه .

معارك ومعاهدة :

وفي يوم ٢٩ أيلول سنة ١٩١١ م أعلنت ايطاليا الحرب وظهرت طلائع الاسطول الايطالي أمام طرابلس وسدد مدافعه الى قلاعها وطلب قائد الاسطول من وكيل الوالى أن يسلم المدينة في الحال ويخليها من كل ما يعوق الجيش الايطالى غير أن وكيل الوالى ومعه (نشأت)[٢١] رئيس أركان

---

(١٦) المصدر السابق ص ٢١ ويذكر هذا المصدر ان السنيور ناثان اليهودي شيخ مدينة روما هو الذي طلب تعيينه صدرا أعظم فوافقت جمعية الاتحاد والترقي على ذلك .

(١٧) راجع نص الانذار في المصدر السابق ص ٢٦ ـ ٢٧ . والقضية العربية ٢ : ٣٧ ـ ٣٩ .

(١٨) جهاد الابطال ص ٢٨ ـ ٢٩ . والقضية العربية ٢ : ٤٠ .

(١٩) هما صادق ومحمود ناجي .

(٢٠) انظر التقرير في : جهاد الابطال ص ٣٤ ـ ٤٢ . والقضية العربية ٢ : ٥٣ ـ ٦٣ .

(٢١) عين نشأت واليا في هذه الاثناء وخلفه في رياسة أركان الحرب فتحي الذي كان ملحقا بالسفارة التركية في باريس .

حرب الجيش العثماني رفضا هذا الانذار محتجين بأنهما لم يتلقيا أمرا من الباب العالى بالتسليم ، وفي اليوم الثالث من تشرين الاول أخذ الاسطول الايطالي يضرب المدينة ولم تكن قلاعها المهملة قد أبدت مقاومة تذكر وفي اليوم الخامس[٢٢] منه نزل الجنود الايطاليون في مدينة طرابلس وفي هذه الاثناء وزع القائد الايطالي (كارلوس كانيفا) منشورا على العرب يدعوهم فيه الى الخضوع والتسليم ويعدهم باحترام شعائرهم وصيانة حقوقهم وانقاذهم من الحكم التركى وبأن تبقى بلادهم اسلامية تحت حماية ايطاليا وملكها (عمانوئيل الثالث)[٢٣] ولكن هذا المنشور لم يؤثر على غير المأجورين من سماسرة ايطاليا ، اما الوالي التركي والضباط الاتراك الذين كانوا معه فقد أبدوا في أول الامر عدم استعدادهم لمحاربة الجيش الايطالى وأشاروا على الطرابلسيين ألا يحاربوا أيضا غير ان الطرابلسيين رفضو الاستسلام وبدأت المعارك بين جيش يتجاوز الاربعين ألفا وبين العرب أنفسهم لان القوة العثمانية في القطر كله لم تكن آنذاك كافية للدفاع فهى لا تتجاوز أربعة آلاف جندي الا بقليل[٢٤] ولم يجد الوالي التركي والضباط الذين معه بدا من المشاركة في الحرب بعد الذى رأوه من حماسة العرب في الدفاع عن وطنهم •

وفي هذه الاثناء أرسلت تركيا ضباطا الى برقة لتسيير القتال وانشئت ثلاث معسكرات الاول في مرمريقة شرقي برقة بقيادة أدهم باشا والثاني جنوبى (درنه) ويتولى تنظيمه أنور القائد التركى يساعده مصطفى كمال (أتاتورك فيما بعد) اما الثالث فقد كان يشرف عليه عزيز على المصرى وكان في (بنى غازى)[٢٥] • وأخذ الترك والعرب يقاتلون بروح الجامعة الاسلامية وكان للسيد أحمد السنوسى وعمر المختار شأن كبير في قيادة المحاربين

(٢٢) في هذا اليوم ألف سعيد باشا الوزارة بعد سقوط وزارة حقي •

(٢٣) انظر هذا المنشور في : جهاد الابطال ص ٥٠ ـ ٥٢ • والقضية العربية ٢ : ٤١ ـ ٤٥ •

(٢٤) برقة ص ٨٠ • وحاضر العالم الاسلامي ٢ : ١١٦ •

(٢٥) برقة ص ٨١ •

وحثهم على الجهـــاد ، واستمرت المعـارك في مختلف الميادين وقـد أبلى الطرابلسيون بلاء عظيما فيها وهزموا الطليان في كثير من المواقع ، وكانت المرأة العربية لا تقل عن الرجل في خوض المعارك[٢٦] . ولكن الطليان على الرغم من الهزائم الكثـيرة ومن المقـاومة الشـديدة التى قابلهـم بها الطرابلسيون كانوا يجمعون قواهم المنظمة الكثيرة والمعززة بالاسلحة الثقيلة ويتقدمون على الاشلاء والجماجم فاحتلوا طرابلس وطبـرق ودرنه وبنى غازى والخمس وغيرها من المدن والقرى واستصدروا أمرا ملكيا بتأريخ ٥ تشرين الثانى ١٩١١ م بالحاق طرابلس باملاك روما وحول هذا الامر في ٢٥ من شباط سنة ١٩١٢ م الى قانون واجب التنفيذ برقم ٨٣[٢٧] .

وفي تشرين الاول من سنة ١٩١٢ م أعلنت حرب البلقان على الدولة العثمانية فاضطرت هذه الى عقد معاهدة صلح مع ايطاليا وقد نصت هـذه المعاهدة على وقف القتال وسحب الجنود الاتراك من ليبيا[٢٨] وانسحبت القوات العثمانية من طرابلس وظل جـزء منها في برقـة بقيادة عزيز على المصرى ثم انسحب عزيز على بعد أن رفض اعطاء السلاح الى العرب بحجة ان ذلك مخالف لشروط الصلح فثار العرب على الجيش العثماني انسحب وبقى الطرابلسيون يحاربون وحدهم وعلى رأسهم أحمد السنوسى وعمر المختار[٢٩] . وكان السيد السنوسى يعارض هذه المعاهدة لان معناها تسليم البلاد الى الطليان[٣٠] على الرغم من أن السلطان قد منح ليبيا استقلالا تاما في الشؤون الداخلية على أن يمثله فيها موظف بلقب نائب السلطان[٣١] وكان السيد السنوسى على حـق في استنكار المعاهدة فقـد كان الايطاليون ينتظرون خروج الجيش العثمانى ليستمروا في سياسة الاستعمار وهذا ما

(٢٦) جهاد الابطال ص ٧٩ .
(٢٧) المصدر السابق ص ٦٨ و٨٣ .
(٢٨) انظر نص المعاهدة في المصدر السابق ص ٩٩ ـ ١٠٢ .
(٢٩) حاضر العالم الاسلامي ٢ : ١٢٥ .
(٣٠) برقة ص ٨٣ .
(٣١) جهاد الابطال ص ١٠٣ .

حدث فقد تجددت المعارك واستمرت وكان كفاح العرب فيها كفاحا مشرفا حتى سنة ١٩٣١ م حين أعدم المجاهد الكبير عمر المختار[٣٢] ، وجعلت البلاد جزء من المملكة الايطالية .

فظائع الطليان :

لم تكن الحرب التى اعلنها الطليان في طرابلس حربا شريفة وانما كانت حربا همجية رافقتها أعمال فظيعة من القتل المبيد والتخريب الوحشي ففي واقعة (المنشية) التى حدثت في ٢٣ تشرين الاول سنة ١٩١١ م كان الطليان يشدون النساء والرجال والاطفال بالحبال ويذبحونهم[٣٣] وقد أباح الطليان القتل في مدينة طرابلس بكل قسوة وشارك في هذه القسوة الضباط والجنود وجماعة الصليب الاحمر والقساوسة ، وصار اطلاق الرصاص على الابرياء شيئاً مألوفا لدى الطليان بل تسلية يتلهى بها الجنود الايطاليون[٣٥] ، وكانت سنة ١٩١١ م من أشد السنين هولا على ليبيا وقد تحدثت جرائد العالم عن الفظائع التى اقترفها الطليان وصرح (فرانسز ماكولا) الانكليزى وكان مرافقا للجيش الايطالى في طرابلس فقال :

« أبيت البقاء مع جيش لاهم له الا ارتكاب جرائم القتل وأن ما رأيته من المذابح وترك النساء المريضات وأطفالهن يعالجن سكرات الموت على قارعة الطريق جعلنى اكتب للجنرال (كانيفا) كتابا شديد اللهجة أقول فيه : انى أرفض البقاء مع جيش لا أعده جيشا بل عصابة من قطاع الطرق القتلة»[٣٦] .

---

(٣٢) انظر شكل المحاكمة التي اجريت له في : (السنوسية دين ودولة) ص ٣١٨ ـ ٣١٩ . للدكتور محمد فؤاد شكري . مصر ١٩٤٨م .

(٣٣) جهاد الابطال ص ٦٧ وجريدة (المؤيد) لسنة ١٩١١ ـ ١٩١٢م .

(٣٤) جهاد الابطال ص ٦٨ .

(٣٥) برقة ص ٨١ .

(٣٦) حاضر العالم الاسلامي ٢ : ٧٢ ، ويشير هذا المصدر في ص ٧٧ الى كتاب اسمه (فظائع الطليان في طرابلس الغرب) طبع سنة ١٣٣٥هـ بالآستانة ، كما يشير الى رسالة عمر المختار الى شكيب ارسلان عن الفظائع .

موقف العراق :

لقد وقف العالم الاسلامي موقف الاستنكار لاعمال الطليان في ليبيا وتبرع غير قليل من المسلمين بالمال وتطوع آخرون للجهاد وحملت الصحافة العربية والاسلامية على ايطاليا وازداد العطف على ليبيا بعد اعلان المعاهدة التى كشفت عن هزيمة الحكومة التركية وازداد التبرع والتطوع وارتفعت أصوات الاحتجاج على ايطاليا حتى في الهند والصين[٣٧] . وألفت اللجان لجمع المال وأقيمت الحفلات بهذا الشأن وكان منها حفلة النادى العربى في الاستانة[٣٨] ، وكان من البديهى أن يقف العراق في طليعة الاقطار الاسلامية الى جانب القطر الليبى فقد حدث عند بداية الاحتلال الايطالى أن اذاع الوالي التركي في بغداد وهو أحمد جمال[٣٩] بيانا جاء فيه :

« ان دولة ايطاليا لم تزل منذ مدة غير قصيرة تربى في أحشائها آمالا استبدادية بحق ولاية طرابلس الغرب التى هى قسم مهم من أقسام الممالك العثمانية فلم تزل تطالب ببعض مطالب غير مشروعة ولما كانت مطالبها تضر بمنافع الدولة الجليلة العثمانية رفضت تلك المطالب ... وعليه فقد أعلنت دولة ايطاليا الحرب مع الحكومة العثمانية فحالة الدولة العثمانية في هذه الدقيقة هى حالة حربية ولا يخفى على كل أحد أن ولاية طرابلس الغرب هى مؤلفة من العناصر العثمانية المحترمة من العرب النجباء وأهل طرابلس الغرب الوطنين ، والدم الذى يجرى في عروقهم هو عين ذاك الدم العثمانى الذى يجرى في عروق سكان خطة العراق . بناء عليه كان جميع أفراد الامة العثمانية لهم علاقة بالاشتراك في هذا الجهاد الملى الاكبر وهو أقدس واجبات اولاد العثمانيين عموما .

---

(٣٧) المصدر السابق ١ : ٣١٢ .

(٣٨) ألقى في هذه الحفلة السيد محمد حبيب العبيدي شاعر الموصل خطبة ثم قصيدة طويلة نشر قسم منها في (الادب العصري) ١ : ١٤٨ — ١٥٢ . وليس فيه ما يخص الحرب الطرابلسية .

(٣٩) هو أحمد جمال الملقب بالسفاح فيما بعد وقد عين واليا على العراق في آب سنة ١٩١١م .

ان الملة اليوم أصبحت في حاجة عظمى أكثر من غيرها الى الاتحاد والاتفاق ... فيجب ترك كل نوع من النفاق والاختلاف لرفع هذه النهلكة المشتركة وعلى عموم العثمانيين العراقيين أن يواظبوا بكمال الطاعة والخضوع لاوامر الحكومة التي تشير عليهم بها . ان الحكومة أمينة ومطمئنة تمام الاطمئنان من كافة الاهالي الساكنين في الخطة العراقية والقصبات والقرى والعشائر والعربان الذين يجولون في البراري أن يلبوا دعوتها لهم بكمال الغيرة والهمة ولو أفضى ذلك الى استنزاف آخر نقطة من دمائهم في المدافعة عن منافع الدولة العثمانية المقدسة ... وليعلموا أيضا أن الدولة العلية تحارب دولة ايطاليا فقط ... ولكنها مع سائر الدول الاجنبية في كمال المصافاة[٤٠] ... » .

وعلى أثر هذا البيان أخذ العراقيون يتبرعون بالاموال ويتطوعون للحرب وهم في ذلك انما يندفعون بروح الجامعة الاسلامية والعثمانية وشكلت لجان لجمع المال ومنها لجنة في البصرة برياسة السيد طالب النقيب وقد جمعت آلاف الليرات لمساعدة الدولة[٤١] كما تطوع الالوف من سكان العراق ولا سيما أتباع (الحزب الحر المعتدل) الذي يرأسه السيد طالب النقيب في البصرة ولكنهم لم يذهبوا[٤٢] . وأعلن الشيخ مبدر الفرعون رئيس عشائر آل فتلة في الفرات الاوسط عن استعداده للمشاركة في الحرب[٤٣] وتبرع ـ وهو في سجن الوالي أحمد جمال ـ بمبلغ قدره خمسمائة ليرة لمساعدة الدولة[٤٤] . وكتب ابراهيم حلمي العمر مقالا يشير فيه الى الاعتداء الايطالي على ليبيا[٤٥] وتظاهر الناس في كل مكان واجتمع حشد كبير في بغداد وقصدوا دار الحكومة واعلنوا عن سخطهم على

---

(٤٠) صدى بابل ـ العدد ١٠٢ س ٣ ـ ١ تشرين الاول ١٩١١م بغداد .
(٤١) المصدر السابق العدد ١٥٩ س٤ .
(٤٢) المصدر نفسه العدد ١١٥ س٣ .
(٤٣) المصدر نفسه العدد ١٢٠ س ٣ ـ ٤ شباط ١٩١٢م .
(٤٤) المصدر نفسه العدد ١٥٩ س٤ .
(٤٥) المصدر نفسه العدد ١٢٠ س٣ . والمقتبس ٢٣ كانون الاول ١٩١١م .

ايطاليا وخطب فيهم الوالى أحمد جمال وكذلك جميل صدقى الزهاوى فحث على الجهاد ، وتلقت الحكومة كثيرا من البرقيات التى ارسلها العراقيون وهم يستنكرون اعتداء الطليان على طرابلس(٤٦) .

وكان موقف رجال الدين في مقدمة المواقف التى برز فيها نشاط العراقيين لاعلان الجهاد ضد الدول الاجنبية ومنها ايطاليا ولا سيما أن اعتداء ايطاليا على طرابلس قد رافقه توثب في دول البلقان واعتداء روسى انكليزى على ايران ، وصدرت الفتاوى بالجهاد في بغداد والنجف وغيرهما وقد وقع فتاوى الجهاد كبار العلماء في النجف من أمثال الملا كاظم الخراساني والسيد محمد سعيد الحبوبى(٤٧) . وكان رجال الدين يرون في هذه الحرب التى شنت على البلاد الاسلامية ليست حربا استعمارية وانما هى دينية لانها وقعت في بلاد الاسلام فقط لذلك أسرعوا الى الجهاد من النجف وكربلاء والكاظمية(٤٨) . وقد شارك بعض العراقيين مشاركة فعلية في حرب طرابلس الى جانب اخوانهم من العرب .

الشعر في هذه الحرب :

كان من البديهى أن يستجيب الشعر للتعبير عن عواطف العراقيين وأن يندفع للتنديد بسياسة الطليان واستنكار ما حدث منهم في بلد عربى مسلم تابع للدولة العثمانية وكان من البديهى أن يكون شعراء العراق في طليعة الركب المعبر عن ثورة الشعور الاسلامى العربى شأنهم في ذلك شأن الشعراء الآخرين في البلاد العربية الاخرى ولا سيما أن الخلافة العثمانية كانت لا تزال ذات تأثير وأن الرابطة الاسلامية كانت هى الاخرى حافزا قويا يغذى

---

(٤٦) تأريخ العراق بين احتلالين ٨ : ٢١٩ ــ عباس العزاوي ــ بغداد ١٩٥٦ .

(٤٧) مجلة ــ العلم ــ النجفية الجزء ٦ من المجلد ٢ تشرين الثاني ١٩١١م .

(٤٨) مجلة ــ الحياة ــ البغدادية . العدد الاول من المجلد الاول صفر ١٣٣٠هـ ١٩١٢م .

الشعور ويدفعه الى العمل وأن رجال الدين في العراق ـ وهم المتنفذون روحيا ـ قد أعلنوا الجهاد وأصدروا الفتاوى بوجوبه ، والوعى العربى آنذاك قد تسرب في العراق يوقظ الى التوجيه الموحد لمحاربة الدول الاجنبية التى تريد اقتسام البلاد العربية والاستيلاء عليها كما حدث في الجزائر ومصر ومراكش •

وبمثل هذه العوامل هب معظم شعراء العراق يسجلون استجابتهم واندفاعهم ويعبرون عن الروح الاسلامية والعربية ويحثون على الجهاد المقدس ويصرخون في وجه الاستعمار الاجنبى الذى يتمثل باحتلال طرابلس •

والشعر الذى أوحته هذه المناسبة غير قليل في الكم كما أن الكثير منه يرتفع بموسيقاه ومعانيه الى مستوى المعركة التى خاضها الطرابلسيون وغيرهم من أتباع الدولة العثمانية • ولئن كان الموضوع الذى تناوله الشعراء واحدا والتجربة التى عانوها وعبروا عنها واحدة فان عمق تلك التجربة لم يكن على مستوى واحد في نفوسهم فقد كان بعضهم يعبر ببساطة موروثة لا تخلو من سطحية في التفكير وبعضهم كان يرى في هذه الحرب نوعا من الصليبية الحاقدة على الاسلام • وبعضهم كان يمزج بين النزعة الاسلامية وبين الشعور العربى الغاضب ، وبعضهم كان يصدر عن وعى وادراك وتأمل ويرى في هذه الحرب ما يصم عصر المدنية الصاعدة •

ومهما كانت الخطوط والاتجاهات التى سلكها الشعراء في التعبير عن هذه التجربة فان الالتقاء بينهم كان واضحا في معركة وقعت بين الغرب المستعمر وطرابلس العربية المسلمة ، وكان واضحا أيضا في التنديد بالطليان وتهديدهم بالقوة والمناجزة الرادعة وتذكيرهم بمواقف العرب في الحروب وتأريخهم الحافل بالانتصارات • وسنعرض من النماذج ما يكشف عن مختلف الاتجاهات والاساليب وان عرض النماذج هنا لا يعنى ان الهدف منها دراسة هذا الشعر من الناحية الفنية وبيان مواطن القوة والضعف في الاداء وفي الأخيلة والمعاني والعواطف والانفعالات وانما نريد قبل كل شيء دراسة هذا الشعر دراسة موضوعية وجمعه وتسجيله في بحث واحد وربطه

بموحياته وبواعثه ، اما ما يسوقنا اليه البحث من نقد أو تحليل وتلمس الاصالة والسطحية في التفكير وقوة الاداء وضعفه في استيحاء التجربة فانما هو استكمال لعناصر الموضوع والمام به وسنختار من النماذج ما وجدناه في الدواوين والمجاميع وما كان في متناول اليد مما عثرنا عليه فاذا أغفل شيء من ذلك ولم يشر اليه فلانه لم يتوفر لدينا حين كتابة البحث .

شعراء المعركة :

١ ـ الكاظمي :

كان الشيخ عبدالمحسن الكاظمي في مصر حين وقع الاعتداء الطلياني على طرابلس وكان هذا الشاعر قد تشبع بالروح الاسلامية السمحةوبالشعور العربي النبيل وبالنزعة الانسانية الهادئة(٤٩) وحين اعتدت ايطاليا على طرابلس انفعل أشد الانفعال فنظم قصيدة طويلة استوعبت معظم الصور التي رسمتها المعركة من اشتباك وقتل وتشريد وندد فيها بالسلم الملطخ بالدم وهدد الطليان وتفاخر بالعرب والاسلام وقد بدأ قصيدته بمطلع تقليدي فقال :

لا يصدق السيف ما لم تصدق الهمم بالساعد الفتل يمضي الصارم الخذم

واستمر يصف القوة والسلاح وكونهما أساس المجد . ثم أطل على المعركة فقال :

يوم تظل له الآماق دامية	وتلتظي عنده الاضلاع والحزم
من ذا يقر له جنب ومضطجع	والبيت مضطرب الاركان والحرم ؟
ببرقة وبني غازي واختهما	أعني طرابلس عاث الازلم الغشم

ودعا العرب الى نصرة اخوانهم وذكرهم بما يجري على أيدي الطليان ليبعث فيهم روح النخوة :

---

(٤٩) ذكرى شاعر العرب الكاظمي . مقال لكاتب البحث . جريدة (الحرية) ١٩٥٥/٥/١ ـ بغداد .

أهل العزيمة ليس اليوم يوم ونىً وليس يحمد بعد اليوم معتزم
هذي طرابلس تدعوكم لنجدتها فشاطروها الاسى أو تفرج الازم
اخوانكم في العرا صرعى ونسوتهم مروعات ولا مأوى ولا حرم

ثم يخاطب روما عاصمة الطليان وينبهها الى فعلتها الشنعاء ويهددها بسوء العقبى :

روما أفيقي فكم من سكرة جلبت لاهلها من ضروب الخزي ما يصم
عرّتك عن كل فخر فعلة شنعت وألبستك ثيابا كلها وصم
ستعلمين اذا ما كنت جاهلة أي الفريقين يفنى عزمه السأم(٥٠)

ويختم القصيدة بمقطع غير قليل في استثارة الشرقين لدحر الغرب ومطامعه .

٢ ــ السيد عبدالمطلب الحلي(٥١) :

هذا الشاعر من غراس الفرات الاوسط وقد نشأ في مدينة الحلة وكان نسبه الهاشمي يشده شدا وثيقا الى التمسك بالروح الاسلامية والشعور العربي غير أن شعره من حيث الصياغة دون مستوى البارزين من شعراء هذه المعركة وقد تناول حرب طرابلس بقصيدة استعرض فيها الاحداث وفاخر بالعرب وندد بالطليان وحث المسلمين على الجهاد ضد أعدائهم من الغربيين وكان متفتح الذهن أمام تلك الاحداث ناقما على الصلح الذي عقدته الدولة العثمانية مع الطليان وقد بدأ قصيدته بقوله :

أيها الغرب منك ماذا لقينا كل يوم تثير حربا طحونا
تظهر السلم للأنام وتخفي تحت طي الضلوع داء دفينا

ويقول مهددا :

كيف ترجو كلاب رومة منا أن ترانا لحكمها خاضعينا

---

(٥٠) ديوان الكاظمي ــ ص ٩٩ ــ ١٠٩ من المجموعة الاولى ــ مطبعة ابن زيدون ــ دمشق .
(٥١) توفي سنة ١٣٣٩هـ ١٩٢٠م .

دون أن نفلق الجماجم والها — م بضرب يأتي على الدارعينا
نبحونا مهولين فلما — أن زأرنا عاد النباح أنينا

ويخاطب ملك ايطاليا مستنكرا الصلح محتجا عليه :

قل لعمانوئيل خلفك والصلح فقد آن للضبا أن تدينا
حكم الله في الكتاب علينا — بقتال الذين منكم يلونا

ويستثير المسلمين لرفض الصلح :

يا رسولي للمسلمين تحمل — صرخة تملأ الوجود رنينا
أبحق ترضون بالصلح قسرا — للنصارى عن مجدكم نازلينا ؟

وينكر على السلطان العثماني قبوله الصلح :

كيف ترضى بالصلح والصلح عار — ذاك يأباه سيد المرسلينا[٥٢] ؟

٣ ـ الرصافي :

لقد وقف معروف الرصافي موقفا مجليا في هذه المناسبة الدامية فسجل في ديوانه ثلاث قصائد في اثنين منها دفاع شديد عن العرب والاسلام واثارة صارخة للترك والعرب ، وقد استعرض الاحداث ووصف المعركة عن بعد وهدد الطليان وفاخر بالطرابلسيين وعلى رأسهم السيد السنوسي ، وندد بالغرب والعلم الذي يدعونه وبعصر التمدن الذي تزهق فيه الارواح وقد جاء في القصيدة الاولى :

ألا انهض وشمر أيها الشرق للحرب — وقبل غرار السيف واسل هوى الكتب
ولا تغترر ان قيل عصر تمدن — فان الذي قالوه من أكذب الكذب
ألست تراهم بين مصر وتونس — أباحوا حمى الاسلام بالقتل والنهب ؟
وما يؤخذ الطليان بالذنب وحدهم — ولكن جميع الغرب يؤخذ بالذنب

---

(٥٢) انظر : شعراء الحلة ـ ٣ : ٢٣٠ ـ ٢٣٣ ـ المطبعة الحيدرية ـ النجف ١٩٥٢م و (البابليات) للشيخ محمدعلي اليعقوبي ٣ : ٤٤ ـ ٤٥ القسم الثاني .

وفيها يقول :

يعـــز علينـــا أهل برقة أنكـــم ... تدور عليكم بالدمار رحى الحـرب
وأنا اذا ما تستغيثـــون لم نجـــد ... اليكم على بعـــد المسافة من درب

ويذكر السنوسي بالاعجاب :

ومن مبلـــغ عني السنوسي أنـــه ... يمد لهذا الصدع منه يد الرأب ؟
فانا لنرجـو أن يقـــود الى الوغى ... طلائع من خيـــل ومن ابل نجب
فيحمى بلاد المسلمين من العـــدى ... وينهض كشافا لهم غمة الخطب(٥٣)

والقصيدة الثانية تبدأ بعدم الاكتراث بالطليان وجيشهم الذي يقوده (كانيفا) وتشيد بالمجاهدين وموقفهم من هذا الجيش فيقول فيها :

هو النصر معقود برايتنا الحمـــرا ... على أنه في الحرب آيتنا الكبرى
لئن ادبر الطليان عنـــد كفاحنـــا ... فان لهم في بطش شجعاننا عـــذرا
فسل جيش (كانيفا) بنا كيف قومت ... شفار مواضينا خدودهم الصـــعرا

ويرثي قتلى طرابلس بأسلوب مؤثر فيقول :

لك الله يا قتلـــى طرابلس التي ... بها حكم الطليان أسيافهم غـــدرا
أداموا بهـــا قتـــل النفوس نكاية ... الى أن أصاروا كل بيت بها قبـــرا
وهل حسبوا قتـل النساء شجاعـــة ... وقد تركوا عند الرجال لهم ثأرا ؟!

ويذم عصر التمدن :

يقولون : ان العصر عصر تمـــدن ... فما باله أمسى عن الحق مـــزورا ؟
الى الله أشكو في الورى جاهليـــة ... يعدون فيها من تمدنهم عصـــرا
أتتنا بثوب العلـــم تمشي تبخترا ... الى الخير لكن قد تأبطت الشرا(٥٤)

اما القصيدة الثالثة فقد نظمت بأسلوب يختلف عن أسلوب القصيدتين السالفتين اذ جنح فيها الشاعر الى الخيال القصصي يستعين به على تصوير

---

(٥٣) ديوان الرصافي ـ ص ٤٤٣ ـ ٤٤٧ ـ بيروت ١٩٣١م .
(٥٤) المصدر السابق ص ٤٤٧ ـ ٤٥٠ .

كثير من الحقائق التي وقعت في طرابلس ، ولم يكتف بالخيال وحده بل صور الحوادث التي تخيلها على أنها رؤيا عرضت له في ليلة طويلة شاقة ، وخلاصة الرؤيا أن الشاعر سهر ليلته الطويلة متعبا مكدودا حتى نام من التعب فاذا به يرى نفسه واقفا على ربوة عند ساحل البحر والافق محمر الجوانب ، والاجساد مبعثرة هنا وهناك ، وبين القبور غادة جميلة كريمة لكنها جائعة مصفرة حاسرة الرأس باكية مقيدة بالسلاسل وقد احتوشتها الكلاب وفوقها الطير تحوم مبتعدة مقتربة بمناقيرها البيض وريشها الاخضر ، وكان الشاعر ينظر اليها بامعان وفي تلك اللحظة هتف به هاتف من السماء يقول له : انها طرابلس تبكي على أهلها

وهـذه الطـير حيث تبصرهـا   محمـد والصـحابة النجـب

وينهي الرؤيا بقوله :

تلـك رؤيـاي غـير كـاذبة   فهـل تغيثـون أيهـا العرب ؟

وفي نهاية القصيدة مقطع لم يكن من القصة أو الرؤيا على أصح تعبير وانما هو خطاب موجه الى ملك ايطاليا فيه تجريح وتعريض يقول فيه :

يا شـيخ رومـا ومن لرايتـه   وتاجـه ينتمـي وينتسـب
لست ولا قومك اللئـام بمـن   تعـرف أم لمثلهـم وأب
وانمـا انتـم بنـو زمـن   اذا ذكـرناه تخجـل الحقـب
برومـة قبـل ـ وهي مبـولة ـ   بالـكم الدهـر وهـو مقترب(٥٥)

٤ ـ الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء :

ولد الشيخ محمد الحسين ليكون فقيها ومرجعا دينيا في النجف ولكنه الى جانب ذلك مارس النظم والنثر فكان من طلائع هذين الفنين في القرن العشرين ، وقد كان لاعتداء ايطاليا على طرابلس نصيب من شعره ولم ينس

(٥٥) المصدر نفسه ص ٤٥٨ ـ ٤٦٠ .

أن يشير الى حروب البلقان ضد الدولة العثمانية فجمع بين الحادثتين في قصيدة عنوانها (بعد حرب الطليان والبلقان) وبدأها بذم الحرب ووصف مآسيها وما تفعله بالبشر وأنكر أن تكون هذه الاعمال مما يشرف السلام والتمدن • واستعرض حالة المسلمين وقعودهم عن صد مكائد الغرب ودسائسه فقال :

سل لدى الحرب ألسن النيران عن صنيع الانسان بالانسان
أو سل الارض ما جرى فسيول الدم فيها هدارة بابيان
أو سل الشرق ما لقيت من الغرب وعدد غرائب العدوان

ويقول :

سل قذيف (المكسيم) كم من خراب سيم خسفا فيه على العمران
كم رؤوس اودى بها حمم القلع فسالت (غازا) على الجثمان
كم نساء أضحت أيامى تعاني من يتامى فقيدها ما تعاني

ويخاطب المسلمين بقوله :

أيها المسلمون هبوا فليس الموت الا حياتكم بهوان
قد دهاكم ويل فماذا التمادي وأتاكم سيل فماذا التواني ؟

* * *

أفيرجو الاسلام لقيان سلم (بعد حرب الطليان والبلقان) ؟

ويعبر عن وحدة المسلمين في المحنة التي أصابتهم فيقول :

يشتكي المراكشي اعتصابا وكشكواه يشتكي (العثماني)
واذا ولولت طرابلس في الغرب أتاها العويل من (ايران)[56]

٥ ـ أبو المحاسن :

ويشارك الشاعر الحاج محمد حسن أبو المحاسن مشاركة نابضة بالحس والانفعال في معركة طرابلس ولكن الاطار اللفظي والصياغة الفنية دون المستوى الحسي ، وقد كان هذا الشاعر معروفا بنزعته الاسلامية

---

(٥٦) الادب العصري ـ ٢ : ٨٧ ـ ٨٩ • المطبعة السلفية ١٩٢٣م القاهرة •

وبشعوره العربي في حين كان ميالا الى سياسة الاتحاديين الاتراك ، وفي قصيدته (الحرب العثمانية الايطالية) ـ وقد نظمها في رمضان سنة ١٣٣٠هـ استجابة غير قليلة للتعبير عما أصاب المسلمين والعرب من أطماع الدول الغربية وقد بدأ قصيدته بالفخر والحماسة والاعتزاز بأمجاد العرب في عصورهم السالفة وكان نصيب العرب من هذه الحماسة غير قليل فقد استنفد من الشاعر حوالي خمسين بيتا جعلها مقدمة للاحداث التي عاصرها في البلاد الاسلامية ولاسيما في طرابلس وفي ختام القصيدة استعرض معاهدة الصلح فندد بها وأعرب عن استيائه منها ، ومما جاء بعد المقدمة الطويلة قوله يخاطب العرب :

بكم بنى الدين حتى استقام ... وأصبح ركن هداه ركينا
وأخضعتم فيه كل الشعوب ... فرسا وروما وهندا وصينا
فعودوا لنصرته مثلما ... بدأتم بنصرته منجدينا
فأوطانكم بعد عز الحفاظ ... قد أصبحت نهزة الطامعينا
يسوم الصليب أعزاهها ... ـ ويا لهف نفسي ـ ذلا وهونا

ويستعرض الاقطار التي احتلها المستعمرون ومنها ايران التي توغل فيها الروس والانكليز ، ومراكش التي احتلها الفرنسيون ، ومصر التي احتلها الانكليز ، ولم ينس الهند ، ثم طرابلس التي أغارت عليها الجيوش الايطالية فيقول فيها :

وهذي طرابلس لا تزال ... تكابد بالجهد حربا طحونا

أما رأيه في الصلح فقد عبر عنه بقوله يخاطب ايطاليا :

ركنتم الى صلحنا والسيوف ... تأبى لنا الصلح والمسلمونا
فان طرابلس للمسلمين ... جميعا يحامونها أجمعينا
فلا صح بيننا أو يفوز ... أقوى الفريقين عزما ودينا[٥٧]

(٥٧) مجموعة أبي المحاسن المخطوطة ، مكتبة الشيخ محمدعلي اليعقوبي ـ النجف .

ولابي المحاسن قصيدة أخرى عنوانها (كأس العطب) وقد نظمها في رجب سنة ١٣٣١هـ ونشرتها جريدة (الرياض) البغدادية • وهذه القصيدة تختلف عن سابقتها في خلوها من أية مقدمة تقليدية فقد بدأ الشاعر فيها بوصف الحرب الطرابلسية مباشرة ثم مدح بها السيد السنوسي ولم ينس نزعته الاسلامية ، اما اختام القصيدة فهو دعوة للمشرق بأن ينتبه من نومه لانه صار مغنما مقسما بين دول الغرب ، وأولها :

شربت ايطاليا كأس العطب   في طرابلس بأسياف العرب
حدثتها كذبا آمالها   أنها تبلغ بالحرب الأرب
طربت للفتح لكن الوغى   بدلت بالحزن ذياك الطرب

★ ★ ★

فكأني باساطيلهم   أصبحت وهي أساطيل الهرب

ويشير الى موقف السنوسي من المعركة فيقول :

وقف الشيخ السنوسي بها   حاميا وقفة مجد وحسب
هتف الاسلام في الكرب به   فأتى يرفل فراج الكرب
أنهضت افريقيا دعوته   نهضة من هولها الغرب اضطرب

ويخاطب المسلمين قائلا : ان هذا الذي حدث :

خطر ما مثله من خطر   طرق الاسلام من كل حدب
انها حرب الصليب انبعثت   فابعثوها وهي ترمي باللهب
ما وراء الدين ترجى غاية   واذا لم ننصر الدين ذهب

ويردد ما ردده هو وغيره من مخاطبة الشرق آنذاك فيقول :

أيها الشرق انتبه من نومة   ضجت الأعصر منها والحقب

★ ★ ★

ما أراك اليوم الا مغنما   عاد مقسوما ونهبا ينتهب

فاضـــرب التقسيم بالسيف تكـــن حاسما فيـــه أماني من حسب[٥٨]

ولعل الضرب والتقسيم والحساب في البيت الاخير من تأثير الصناعة البديعية التي لم يسلم منها هذا الشاعر •

٦ ـ الشيخ محمد رضا الشبيبي :

للشيخ الشبيبي قصيدة في هذا الموضوع المؤثر ولكنه لـم يزد على الشعراء الاخرين فقد سلك مسلكهم في التنديد بالغرب والتفاخر بالعرب واستصغار الغزاة المعتدين الذين قوبلوا بالقوة والسلاح غير أنه لم يتخذ من نزعته الاسلامية مبررا لحملته على الاستعمار كما فعل الشعراء الاخرون وان استنكر هذه الاعمال التي لا تقرها الشرائع السماوية ، اما نظرته الى هذا العصر الذى سموه عصر التقدم كذبا وزيفا فهى لا تختلف عن نظرة الكاظمى والرصافي • وعاطفة الشبيبى الهادئة في معظم المواقف قد أملت عليه هذه القصيدة كما أملت عليه غيرها فلم يندفع مع الكلمات والتعابـير المجلجلة الصاخبة من غير ايحاء ولا تأثير وانما كانت تعابيره متساوقة سمحة الموسيقى والايقاع • اما قصيدته فعنوانها (من الحرب الى الحرب) وقـد نظمها سنة ١٣٣١ هـ ١٩١٢ م وأولها :

بكرت عليك تريك هول الموعـــد حرب تروح بنـا وأخرى تغتـدى
ان الخطوب اذا رمتنـــا عن فـــم فالى فـــم او من يـــد فالى يـــد

ويقول فيها :

اوما أتـــاك ببرقـــة نبـــأ التي رمت البـــلاد بمبرق وبمرعـــد
أبني المطـــامع قوبلت اعدادكـــم وقواكـــم بنظـــائر لـــم تعهـــد
فســلاحكم من اذرع ورجالكـم من نسوة وجموعكم من مفـــرد

* * *

أغرقتـــم في المنكـــرات فاوجبت انكـــار كـــل مثلث وموحـــد

(٥٨) المصدر السابق •

وشرعتم في دينكـم ما لم يكـن   في شرع موسى والمسيح وأحمـد
أشـياء لان لها الحديد وأشرقت   عـين الجماد ورق قلب الجلمـد
انا دعـونا العصر عصـر تقهقر   فليدع عصـر تقـدم وتجـدد(٥٩)

٧ ــ الشيخ باقر الشبيبي :

ويشارك الشيخ باقر الشبيبي بهذه المناسبة فيهدد ايطاليا ويذكرهـا بحروب الدولة العثمانية ويحذرها عقبى الاعتداء فيقول :

فيـا ايطاليـا اعتقـدي بأنـا   سننشـرها بأجنحـة الظليـم
ونضرب بالسيوف لكم رقابـا   ونحمي بالدفاع حمى الحـريم
سننشـئها بواخـر طـائرات   تسـير بالبخـار وبالسـديم
سـلوا ان شئتم اليـونان عنـا   وان شئتم سلوا حرب الصريم(٦٠)
نصـول بكـل هـدار هـزبر   اذا اشتد الوغى أسـد الهجـوم
نذب عـن الحقيقة في حماهـا   ونحمي حوزة الوطن القـديم(٦١)

٨ ــ الشيخ علي الشرقي :

لقد كان الشيخ على الشرقي من أبعد الناس عن المعارك الدامية فاذا اضطر الى شيء من ذلك فانما يحوم من بعيد لكي لا تعلق الدماء بحاشية ثوبه ولكنه يتأمل ويستوحي ويستوعب المواقف بادراك ثم يصور خلجـات نفسه بقدر المشاركة التي أداها • هكذا كان شأنه في الحروب والثورات التي عاصرها والتقط صورها لذلك جاء معظم شعره في هذه المناسبات لونا من ألوان الرمز الذى تستوحي فيه الامثال والاشياء المادية وما في الطبيعة من

(٥٩) ديوان الشبيبي ص ١٩ ــ ٢٠ لجنة التأليف والترجمة والنشر ــ القاهرة ١٩٤٠م •

(٦٠) كذا في المصدر ولعلها (القريم) اشارة الى حرب القرم سنة ١٨٥٥م •

(٦١) شعراء الغري ــ ١ : ٤٣٠ ــ ٤٣١ •

صور وأشكال ليعبر بها عن موضوع سياسى أو اجتماعى وكان خياله المطاوع المواتى خير نصير له في رسم الصور التى يتحسسها هو في ذاته ونفسه ، وقصيدته (رفيف الارواح) المستوحاة من حرب طرابلس سنة ١٩١١ م صورة من صور الخيال الذى يحوم حول المعركة من بعيد ولا يريد أن يقع فيها أو يعلق شيء من دماء قتلاها في جناحيه سوى اللمسة الاخيرة التى مس بها (روما) وسوى التحويمة الهادئة على واحات برقة ونخيلها • وفي رأيى أن الشرقى كان ينظم للمتأملين المفكرين اكثر مما ينظم لاثارة العامة من الناس او لارضاء رجال السياسة والدين ومن سار في ركابهم • وأول قصيدته هذه :

كيف أصبحت أفصحي يا بلادي ... فيك ما يخرس الرطاب الفصاحا
أسكون كما هدأت مساء ... أم ضجيج كما انتبهت صباحا

وبعد أن يستمر الشاعر في الحديث عن بلاده وسكانها يشير الى ناحية انسانية تحسسها من خلال آلام البشر فيذم القوة التى تستخدم في الاعتداء والاستغلال :

ما أضل الانسان ينثر في الأر ... ض بذور الشقا ويرجو الفلاحا
عظمته قساوة وبلاء ... لقبوه شجاعة وسلاحا

* * *

تأمن الشاة في السراح وبين الـ ... ـناس لا يأمن الضعيف سراحا

ولعل هذه الابيات مقدمة لان يقول عن روما وعن أعمالها في ليبيا وزواياها الدينية :

ما لروما فلا استوى عرش روما ... قتلت ذيلها وعجت نباحا
جبنت عن نضال كل قوي ... فاغارت على (الزوايا) اكتساحا
نطحت (برقة) وبرقة واحا ... ت من النخل ما عرفن النطاحا(٦٢)

---

(٦٢) عواطف وعواصف ـ ص ١٨٣ ـ ١٨٤ • بغداد مطبعة المعارف ١٩٥٣م •

٩ ـ الشيخ عبدالعزيز الجواهري :

كان الجواهري هذا من شعراء النجف في بداية القرن العشرين وله في مجال السياسة آنذاك قصائد غير قليلة فيها لمحة من قوة ورصانة ، وقصيدته (خفق الهلال) من وحي الحرب الطرابلسية ولكنه في هذهالقصيدة لم يكن واضحا في تصوير الموضوع بما يتطلبه من أسماء وأماكن لولا كلمة (رومة) التي وردت في ثنايا القصيدة فهو أشبه ما يكون بالشيخ علي الشرقي في غموض المناسبة غير أنه لم يخرج عن الموضوع فقد عني بوصف الجيش الذي زحف لمحاربة الطليان وان كان الوصف يكاد ينطبق على كل جيش يزحف لمقابلة عدوه • وأول القصيدة •

سد الثغور بعزمة الاسكندر   جيش يقاد من النهى في جوهر(٦٣)

اما الجنود الذين زحفوا لمحاربة الطليان فانهم :

خفق الهلال عليهم وتأمروا   في ظل ملك بالرشاد مظفر

والمقطع الذي يدل على موضوع القصيدة ومناسبتها هو :

فتيات (رومة) نظمي دون البكا   سمطا يزان بلؤلؤ متنثر
وضعي القلائد للرجال مدامعا   وذري تمائمهم مكان الجوهر
ودعي الخدور لهم فقد نهبتهم   بيض السيوف بكل ليث مخدر
قد فاجأت غاب الليوث فأصبحت   مثل الفريسة تحت ناب غضنفر(٦٤)

١٠ ـ ابراهيم منيب الباچهچي :

لم يكن ابراهيم من الشعراء المجيدين بل هو وسط بينهم أو دون الوسط وقد أملت عليه عاطفته أن يسهم في حرب طرابلس فنظم بعض

---

(٦٣) يذكرنا هذا المطلع بقول الشيخ عبدالحسين محيالدين في مدح وادي الشفاح في القرن التاسع عشر :

سد الفرات بعزمة الاسكندر   واد يمد نداه مد الابحر

راجع (شعراء الغري) ٥ : ١١٢ ـ النجف ـ المطبعة الحيدرية ١٩٥٤م •

(٦٤) الادب العصري ـ ٢ : ١٧١ ـ ١٧٢ •

القصائد التي لا تخلو من ركة في اللغة ومن الاستعانة بالمعاني العامة الشائعة ومنها قصيدة عنوانها (نهضة السنوسي) قال فيها :

مــــدّ السنوسي الغـــزاة بأسده ... فأبان للطليــــان جــــزر فرنـــده
من كل مقـــدام يهـــون لعـزمه ... تـــرك الحيـــاة ولا مهـــانة رده
أتذلـــه الطليـــان يوم كريهـــة ... وهـــو الذي ما ذل قط لأســـده

ويوصى الدولة العثمانية به فيقول :

يا آل عثمـــان احفظـوه مهنـــدا ... فالنصـــر والفتح المبـــين بحـــده
هـــذا الذي والاكـــم بخلوصـه ... ورعـى مقامكـــم بخـــالص وده

ويتمنى الشاعر لو أسهم في المعارك بنفسه ولكنه لم يستطع :

اني لمضـــطر القعـــود عن الوغى ... لـكن قلبي هـائم في وجـــده[٦٥]

وفي قصيدة أخرى وعنوانها (انكسار الطليان) يقول :

يا جيش ايطاليـــــا لا زلت مثبورا ... وعـن مرادك مطروداً ومدحـورا
أمّلت فتحـا مبينا اذ زحفت على ... طرْبلُسِ الغرب لكن رحت مأسورا
غرتك نفســك حتى رحت منخذلا ... وطالما ذل من قد كان مغرورا[٦٦]

١١ ــ عبدالرحمن البناء :

ليس هذا اللقب الذى اشتهر به عبدالرحمن مجرد كلمة لا مدلول لها في حياته بل كان حقا عاملا من عمال البناء في بغداد ، أما الشعر فلعله كان عنده من وسائل التلهى في البداية لذلك لم يخرج عن حدود كلمة (النظم) ولكنه مع ذلك يستطيع أن يفاخر بأنه أسهم في الموضوعات التى تتصل بالحياة السياسية العامة في بداية القرن العشرين على ما في لغته من ضعف وما في اسلوبه من ركة • وكان لحرب طرابلس نصيب من شعره فقد نظم بهذه المناسبة اكثر من قصيدة واحدة من ذلك قصيدة أولها :

---

(٦٥) زبابق الحقل ص ٥٥ ــ ٥٦ • مطبعة النجاح بغداد ــ ١٣٥٧هـ •
(٦٦) المصدر نفسه ص ٥٩ ــ ٦٠ •

افلق بسيفك هاما غره[٦٧] الورم ... واطعن برمحك قلبا حشوه النقم

وفيها يقول لملك ايطاليا :

(فكتور) ويلك لا تغتر في فرص ... فسوف تعلم حقا من هو العلم
اليك جاء بنو عثمان يتبعهم ... جنود نصر مع الاطواد تصطدم

ويقول للسلطان العثماني :

أنت (الرشاد) أمير المؤمنين ومن ... لأمره تخضع السادات والعظم (كذا)
يأيها العرب هذا اليوم يومكم ... أين الحماسة أين البأس والهمم[٦٨]!

وفي قصيدة أخرى يشير الى ما تعانيه البلاد الاسلامية آنذاك فيقول :

فايطاليا احتلت طرابُلساً لها ... وغارت على ايران بالحقد روسها[٦٩]

وفي ثالثة يقول :

لمن المواطن تلتظي شفراتها ... والذابلات تساقطت جمراتها
أكرم بها من أمة عربية ... سالت على حد الضبا مهجاتها
أو ما تراها من طرابلس لقد ... نشرت على حب الوفا راياتها[٧٠]

وفي قصيدة رابعة يمجد انتصار العرب في (بنى غازى) فيقول مبتدئا بمخاطبة السلطان ويندد بالصلح :

قرت عيونك أيها السلطان ... بالنصر أيد جندك الديان
لا تقبل الصلح المبطن منهم ... فلطالما نكثوا العهود وخانوا

ويذكر السنوسي بالاعجاب فيقول :

والفخر للشيخ السنوسي الذي ... شهدت لشدة بأسه الفرسان

---

(٦٧) الصحيح : غرها .
(٦٨) ديوان البناء ـ ص : ٩٨ ـ ١٠١ ـ مطبعة الرياض ـ بغداد
(٦٩) المصدر نفسه ص : ١٠٤ ـ ١٠٧ .
(٧٠) المصدر نفسه ص : ١٠٧ ـ ١٠٩ .

وافى الى الجلّى فكفكف غربهـا   وكذا الهلال به السماء تزان[71]

وفى قصيدة خامسة يهدد ملك ايطاليا ويمدح السنوسى والامة العربية فيقـول :

غدرت بنا (روما) فحان حمامهـا   وتوهمت فكبـت بهـا أوهامهـا
نكصت على أعقابهـا لمـا رأت   ان العرينة حونهـا ضرغامهـا
(فكتور) ويلك في الدجى لك مقلة   قـد عافهـا ممـا عراك منامهـا

لله أمـة يعـرب من أمـة   ضربت على السبع الطباق خيامهـا
وامامهـا الشيخ السنوسـي الذي   هو يوم مشتجر الرماح همامها[72]

خاتمة البحث :

هذا الشعر لم يكن كل ما نظمه شعراء العـراق في هـذه الحـرب العدوانية ولـكنه غير قليل في رسم الاتجاه العراقي آنذاك بل هو كثير بالنسبة لقطر تخلف عن غيره من الاقطار العربية التي أطلت من نوافذ عدة على مرافق النهضة الحديثة واتصلت بمتابعة فيما وراء البحار كمصر وسوريا ولبنان ، فقد كان العراق في بداية القرن العشرين لا يزال مغمورا برواسب القرن التاسع عشر التى حرمته من مزايا كثيرة كان من الممكن أن تدفعه الى أبعد الاشواط لو قـدر له أن يستريح من وطـأة الاستعمار العثمانى الخانق ، ومع ذلك كان له النصيب الوافـر في دعم الحـركات العـربية والوقوف الى جانب العرب في كل أقطارهم ضد الاستعمار الاجنبى في بداية القرن العشرين وكان شعوره بأنه جزء من الامة العربية حافزا قويا لان يكون صوته من أقوى الاصوات في مجال الكفاح العربي ، ولعل هـذا الشعر الذى عرضناه في هذا البحث كاف للدلالة على نمو الشعور العراقى آنذاك وتطور الاتجاه في معالجة القضـايا العربية فاذا كان في بعض هـذا

(٧١) المصدر نفسه ص : ١٠٩ ـ ١١٣ .
(٧٢) المصدر السابق ص : ١٢١ ـ ١٢٢ .

الشعر ما يؤاخذ عليه الشعراء من ضعف في التعبير وركة في النسج فانما هو من خصائص الفن والشكل وهذه الخصائص ان هي الا انعكاس للثقافة الادبية بصورة عامة ولم يكن بعض شعراء هذا البحث ممن أوتوا النصيب الكافي من مقومات الشعر وخصائصه الفنية والموضوعية ، ومهما يكن من شيء فان هذا الشعر صوت من أصوات العراق في مكافحة الاستعمار الغربي وقد سجلنا هذا الصوت ليبقى متميزا عن غيره في غمرة الاصوات الكثيرة .

ابراهيم حرج الوائلي

مراجع البحث :

١ ـ الادب العصري : رفائيل بطي ـ المطبعة السلفية ١٩٢٣م القاهرة .
٢ ـ برقة : للدكتور نقولا زيادة . دار العلم للملايين . بيروت .
٣ ـ البابليات : للشيخ محمدعلي اليعقوبي ـ المطبعة العلمية ـ ١٩٥٥م النجف .
٤ ـ تأريخ العراق بين احتلالين : عباس العزاوي . شركة التجارة والطباعة المحدودة ـ ١٩٥٦ بغداد .
٥ ـ جهاد الابطال : للطاهر أحمد الزواوي . مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة ١٩٥٠م .
٦ ـ حاضر العالم الاسلامي : لوثروب ستودارد ـ ترجمة : عجاج نويهض . مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ ١٣٥٢هـ القاهرة .
٧ ـ ديوان البناء : عبدالرحمن ـ مطبعة الرياض ـ ١٩٣١م بغداد .
٨ ـ ديوان الرصافي : ١٩٣١ ـ بيروت .
٩ ـ ديوان الشبيبي : محمد رضا ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٤٠م .
١٠ـ ديوان الكاظمي : عبدالمحسن . مطبعة ابن زيدون ـ دمشق .
١١ـ زنابق الحقل : ديوان ابراهيم منيب الباچه‌چي . مطبعة النجاح ـ ١٣٥٧هـ بغداد .
١٢ـ السنوسية دين ودولة : الدكتور محمد فؤاد شكري . ١٩٤٨ ـ القاهرة .
١٣ـ شعراء الحلة : علي الخاقاني ـ المطبعة الحيدرية ـ النجف ـ ١٩٥٣م .
١٤ـ الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر : ابراهيم الوائلي ـ مطبعة العاني ـ بغداد ـ ١٩٦١م .
١٥ـ الشعر العراقي الحديث : الدكتور يوسف عزالدين . مطبعة أسعد ـ بغداد ١٩٦٠م .

١٦ـ شعراء الغري : علي الخاقاني ـ المطبعة الحيدرية ـ النجف ـ ١٩٥٤م ٠
١٧ـ عبدالحميد ظل الله : الدكتورة آلما وتلن ٠ ترجمة : راسم رشدي ٠ دار الطباعة للنيل ٠
١٨ـ عواطف وعواصف : ديوان علي الشرقي ـ مطبعة المعارف ـ بغداد ١٩٥٣م ٠
١٩ـ القضية العربية : أحمد عزت الاعظمي ٠ مطبعة الشعب ـ بغداد ١٩٣١م ٠
٢٠ـ مجموعة أبي المحاسن : مكتبة الشيخ محمدعلي اليعقوبي ـ النجف ٠ ومجموعة صغيرة في مكتبي ٠

المجلات والجرائد :

١ ـ مجلة (الحياة) بغداد ١٩١٢م ٠
٢ ـ مجلة (العلم) النجف ـ ١٩١١م ٠
٣ ـ جريدة (الحرية) بغداد ١/٥/١٩٥٥م ٠
٤ ـ جريدة (صدى بابل) بغداد سنة ١٩١١ ـ ١٩١٢م ٠
٥ ـ جريدة (المؤيد) ـ القاهرة سنة ١٩١١ ـ ١٩١٢م ٠